

## أسرار الخلية في القرآن



✓ أخبر القرآن الكريم في غير واحدة من آياته عمّا يتعلّق بـسـنـ الـكـوـنـ، وـنـوـاـمـيـسـ الـطـبـيـعـةـ، وـالـأـفـلـاكـ، وـغـيـرـهـاـ مـمـاـ لـاـ سـبـيلـ إـلـىـ الـعـلـمـ بـهـ فـيـ بـدـءـ الـإـسـلـامـ إـلـاـ مـنـ نـاحـيـةـ الـوـحـيـ الإـلـهـيـ . وبـعـضـ هـذـهـ الـقـوـانـيـنـ وـإـنـ عـلـمـ بـهـ الـيـونـانـيـوـنـ فـيـ تـلـكـ الـعـصـورـ أوـ غـيـرـهـمـ مـمـنـ لـهـمـ سـاـبـقـ مـعـرـفـةـ بـالـعـلـمـ، إـلـاـ أـنـ الـجـزـيرـةـ الـعـرـبـيـةـ كـانـتـ بـعـيـدـةـ عـنـ الـعـلـمـ بـذـلـكـ. وـإـنـ فـرـيقـاـ مـمـاـ أـخـبـرـ بـهـ الـقـرـآنـ لـمـ يـتـضـمـنـ إـلـاـ بـعـدـ تـوـفـرـ الـعـلـمـ، وـكـثـرـ الـاـكـتـشـافـاتـ. وـهـذـهـ الـأـنـبـاءـ فـيـ الـقـرـآنـ كـثـيرـةـ. وـقـدـ أـخـذـ الـقـرـآنـ بـالـحـزـمـ فـيـ إـخـبـارـهـ عـنـ هـذـهـ الـأـمـورـ، فـصـرـحـ بـبعـضـهـاـ حـيـثـ يـحـسـنـ التـصـرـيـحـ، وـأـشـارـ إـلـىـ بـعـضـهـاـ حـيـثـ تـحـمـدـ إـلـاـسـارـةـ، لـأـنـ بـعـضـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ مـمـاـ يـسـتـعـمـيـ علىـ عـقـولـ أـهـلـ ذـلـكـ الـعـصـرـ، فـكـانـ مـنـ الرـشـدـ أـنـ يـشـيرـ إـلـيـهـ إـشـارـةـ تـدـضـمـنـ لـأـهـلـ الـعـصـورـ الـمـقـبـلـةـ حـيـنـ يـتـقـدـمـ الـعـلـمـ، وـتـكـثـرـ الـاـكـتـشـافـاتـ. وـمـنـ هـذـهـ الـأـسـرـارـ الـتـيـ كـشـفـ عـنـهـاـ الـوـحـيـ السـماـويـ، وـتـنـبـئـ إـلـيـهاـ الـمـتـأـخـرـوـنـ مـاـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: (وَأَنْبَذْنَا فـيـهـاـ مـنـ كـُلـ شـيـءـ إـلـيـهاـ الـمـتـأـخـرـوـنـ) (الـحـجـرـ/ـ19ـ). فـقـدـ دـلـلـتـ هـذـهـ الـآـيـةـ الـكـرـيمـةـ عـلـىـ أـنـ كـلـ مـاـ يـنـبـتـ فـيـ الـأـرـضـ لـهـ وزـنـ خـاصـ، وـقـدـ ثـبـتـ أـخـيـراـ أـنـ كـلـ نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ النـبـاتـ مـرـكـبـ مـنـ أـجـزـاءـ خـاصـةـ عـلـىـ وزـنـ مـخـصـوصـ، بـحـيـثـ لـوـ زـيـدـ فـيـ بـعـضـ أـجـزـائـهـ اوـ نـقـصـ لـكـانـ ذـلـكـ مـرـكـبـاـ آـخـرـ. وـإـنـ نـسـبـةـ بـعـضـ الـأـجـزـاءـ إـلـىـ بـعـضـ مـنـ الدـقـّـةـ بـحـيـثـ لـاـ يـمـكـنـ ضـبـطـهـاـ تـحـقـيقـاـ بـأـدـقــةـ الـمـواـزـينـ الـمـعـرـوـفـةـ لـلـبـشـرـ. وـمـنـ الـأـسـرـارـ الـغـرـيـبـةـ الـتـيـ أـشـارـ إـلـيـهـ الـوـحـيـ الإـلـهـيـ حـاجـةـ إـنـتـاجـ قـسـمـ مـنـ الـأـشـجـارـ وـالـنـبـاتـ إـلـىـ لـقـاحـ الـرـياـحـ. فـقـالـ سـبـحـاـنـهـ: (وَأَرْسَلْنـاـ الرـِّيـاحـ لـأـفـرـجـ) (الـحـجـرـ/ـ22ـ). فـإـنـ

المفسّرِين الأقدمين وإن حملوا الـ"لّاقاح" في الآية الكريمة على معنى الحمل، باعتبار أنّه أحد معانيه، وفسّروا الآية المباركة بحمل الرياح للسحاب، أو المطر الذي يحمله السحاب، ولكنّ التنبيه على هذا المعنى ليس فيه كبير اهتمام، ولا سيّما بعد ملاحظة أنّ الرياح لا تحمل السحاب، وإنّما تدفعه من مكان إلى مكان آخر. والنظرة الصحيحة في معنى الآية بعد ملاحظة ما اكتشفه علماء النبات تفيدنا سرًا دقيقاً لم تدركه أفكار السابقين، وهو الإشارة إلى حاجة إنتاج الشجر والنبات إلى الـ"لّاقاح"، وأنّ الـ"لّاقاح" قد يكون سببه الرياح، وهذا كما في المشمش والصنوبر والرمّان والبرتقال والقطن، ونباتات الحبوب وغيرها، فإذا نضجت حبوب الطلع انفتحت الأكياس، وانتشرت خارجها محمولة على أجنحة الرياح فتسقط على مياسم الأزهار الأخرى عفواً. وقد أشار سبحانه وتعالى إلى أنّ سدّة الزواج لا تختم بالحيوان، بل تعمّ النبات بجميع أقسامه بقوله: (وَمِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنَ اثْنَيْنَ) (الرعد/3). (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَاجْكُلَّهَا مِمَّا تُذْبَتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) يس/36). ومن الأسرار التي كشف عنها القرآن هي حركة الأرض، فقد قال عزّ من قائل: (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا) (الزخرف/10، طه/53). تأمّل كيف تشير الآية إلى حركة الأرض إشارة جميلة لم تتدّفع إلا بعد قرون، وكيف تستعير للأرض لفظ المهد الذي يُعمل للربيع، بهتزّ بنعومة لينام فيه مستريحاً هادئاً، وكذلك الأرض مهد للبشر وملائمة لهم من جهة حركتها الوضعية والانتقالية. وكما أنّ تحرّك المهد لغاية تربية الطفل واستراحته، وكذلك الأرض، فإنّ حركتها اليوميّة والسنوية لغاية تربية الإنسان بل وجميع ما عليها من الحيوان والجماد والنبات. تشير الآية المباركة إلى حركة الأرض إشارة جميلة، ولم تصرّح بها لأنّها نزلت في زمان أجمعـت عقول البشر فيه على سكونها، حتى أنّه كان يُعدّ من الضروريات التي لا تقبل التشكيك. ومن الأسرار التي كشف عنها القرآن قبل أربعة عشر قرناً، وجود قارّة أخرى. فقد قال سبحانه وتعالى: (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) وجود قارّة أخرى (الرحمن/17). وهذه الآية الكريمة قد شغلت أذهان المفسّرِين قروناً عديدة، وذهبوا في تفسيرها مذاهب شتّى. فقال بعضهم: المراد مشرق الشمس ومشرق القمر ومغرباًهما، وحمله بعضهم على مشرقَيِّ الصيف والشتاء ومغاربيَّهما. ولكنّ الظاهر أنّ المراد بها الإشارة إلى وجود قارّة أخرى تكون على السطح الآخر للأرض يلازم شروق الشمس عليها غروبها عنّان وذلك بدليل قوله تعالى: (يَا لَيْتَ بَيْنَ ذَيْ وَبَيْنَ ذَكَرْ بُعْدَ الْمَشْرِقِ وَبَيْنَ فَبَدْئِنَ الْقَرَنِ) (الزخرف/38). فإنّ الظاهر من هذه الآية أنّ البعد بين المشرقين هو أطول مسافة محسوسة فلا يمكن حملها على مشرقَيِّ الشمس والقمر ولا على مشرقيِّ الصيف والشتاء، لأنّ المسافة بين ذلك ليست أطول مسافة محسوسة، فلا بدّ من أن

يراد بها المسافة التي ما بين المشرق والمغرب. ومعنى ذلك أن يكون المغرب مشرقاً لجزء آخر من الكرة الأرضية ليصلح "هذا التعبير، فالآلية تدلّ" على وجود هذا الجزء الذي لم يُكتشف إلا بعد مئات من السنين من نزول القرآن. ▶ المصدر: كتاب سلسلة المعارف الإسلامية